

افتتاح أشغال
المناظرة الوطنية الخامسة للجماعات المحلية

ألقى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بالقصر الملكي بالرباط، خطابا توجيهيا هاما بمناسبة افتتاح أشغال المناظرة الوطنية الخامسة للجماعات المحلية :
وفي ما يلي نص الخطاب الملكي.

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السادة والسيدات . .

يطيب لي بادىء ذي بدء أن أرحب بجميع الوفود الشقيقة والصديقة التي لبت دعوتنا وجاءت لتشاركنا في أعمال هذه المناظرة، التي نعتبرها ليس مناظرة مغربية، بل مناظرة الاجتهاد والتنافس في الخير ومناظرة المختبرات للإبداع والتحرر المادي والمعنوي. كما أشكر بالخصوص السادة أعضاء الوفود عربا وأوربيين وأفارقة على الكلمات الطيبة الرقيقة التي فاهوا بها تجاه بلدي وشعبي وتجاه خديمهما.

حضرات السادة . .

اخترنا لهذه المناظرة شعار (التطابق) لأن هذا اللفظ يعني أولا في تركيبه النحوي والصرفي التفاعل؛ بمعنى الاستمرار، وثانيا التفاعل بين هذا وذاك، وثالثا تفاعل يعني عدم البلاء بل دوام الجدة. فنحن حتى في حياتنا اليومية نبحث عن التطابق سواء ذهبنا بأبنائنا إلى المدرسة الابتدائية أو الثانوية أو إلى الكليات. ويجب علينا وعليهم - أي على الآباء والأبناء - أن يقع بيننا تطابق في الخطاب وفي التعامل وفي الحوار وفي التفاهم. إذن، أعتبر أن التطابق هو جعل جميع المقومات التي تتكون منها مجموعة لها واجبات وعليها التزامات، تبحث على أن تطابق مؤهلاتها البشرية ومؤهلاتها المالية وإمكاناتها الإدارية مع ما عليها من واجبات تجاه المواطنين من الناحية التربوية ومن ناحية التغذية ومن ناحية التكوين ومن ناحية العمران.

والتطابق له معنى آخر كذلك؛ وهو أن نضع الأمور طبقة فوق طبقة، طبقة فوق طبقة، حسب الأولوية أو حسب القدسية.

لنبدأ بالأولوية، فبالنسبة للأولوية، أعتبر شخصيا أن قاعدة كل تطابق هيكلي هي العنصر البشري. فبدون عنصر بشري لا قاعدة نرفع عليها ذلك الهيكل ولكن من هو هذا العنصر البشري؟ فهل هو رجل المغارات؟ لا. وهل هو رجل الجهل؟ لا. وهل هو الرجل غير القابل للتنافس؟ لا. وهل هو الرجل الذي ليس بينه وبين جماعته أية رابطة« نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» لا. إن ذلك الرجل هو قبل كل شيء؛ رجل مهذب وملطف ومثقف يعطي ويأخذ ويوجه النصح ويتلقاه. فبينه وبين جماعته لحمة لا تنفصم ووثنية لا يغلبها إلا توحيد الله سبحانه وتعالى. ثم فوق ذلك؛ العنصر الأول الذي هو الرجل، هناك واجباته. فيجب عليه أن يعيش مع الآخرين في سلام. وأساس السلام والسلم هو القانون الذي يلزم الجميع. القانون الذي يجب أن يحترم من لدن الجميع. فإذا كانت اليد العاملة وهي العنصر البشري الصالح، وإذا كان النظام الذي يضمن لكل ذي حق حقه في تلك الجماعة، أتى

تلك الجماعة رزقها الطيب الكريم فلاحيا أو معدنيا أو منجميا أو صناعيا، فتصير تترعرع وتنمو بعيدة عن الضوضاء؛ لأن أصحابها أناس مثقفين مهذبين وبعيدة عن الظلم لأنها أرادت القانون وجعلته أسمى تعبير يحكمها. وإذا هي اكتفت بهذه العناصر الثلاثة واستلهمت منها، أصبحت جماعة فيها التطابق الأفقي والتطابق المعنوي والتطابق الذي يجعلها قادرة على أن تكون طرفا محترما من أطراف الجماعات الأخرى التي تكون بدورها البلاد.

لقد سمعت عدة خطباء يتكلمون عن فضل الحسن الثاني في اللامركزية، وإني أقول لهم، لا فضل لي في هذا، لأن المغرب - ولله الحمد - وكما أقول دائما، بلد له معالم طريق في ماضيه، وليس بالبعيد كان للملك الخليفة السلطاني، والخليفة السلطاني كان يمتاز ويتميز بسلطات واسعة. فكان الخليفة السلطاني في تطوان وفي مراكش وفي تزنيت وكان لهم وزراء وكان لهم كتاب، علما من أجدادنا وأسلافنا - طيب الله ثراهم - أن البلد لا يمكن أن يحكم من نقطة واحدة كيفما كانت حيوية الإدارة وكيفما كان حزم الرجال وكيفما كانت قدرة الموظفين.

إذن، لا فضل لي في هذا الباب، لقد أخذت على نفسي أن أرى في مرآة السائق الذي يرى من الوراء، فرأيت معالم وكان من بين اعمامي — رحمة الله عليهم — من كان خليفة سلطانيا. فإذن، ترعرعت وأنا متشبع بروح اللامركزية مؤمنا بها، معتقدا أن الديمقراطية الحقيقية هي الديمقراطية المحلية. وإذا لم تكن هناك ديمقراطية محلية، فلن توجد أبدا ديمقراطية وطنية تهيمن عليها وتطبعها بطابع الجد والاحترام والالتزام.

حضرات السادة،

لن أطيل عليكم وهنا أتوجه بالخصوص إلى شعبي العزيز؛ فكما قلت لكم في خطاب العرش، نحن على أبواب خوض تجربة دستورية جديدة متسمة بالصدق والجد والوطنية وبالنية الصالحة الطاهرة. وهذه العملية المتمثلة في اعتماد دستور جديد، يأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه الظروف وما ترنو إليه النفوس عن حق واستحقاق، لابد أن تواكبها عدة عمليات انتخابية. وحتى تتم هذه العمليات الانتخابية في وقتها اللازم يجب أن تتخذ إجراءات قانونية وتنظيمية. وأقول لكم حسب العد العكسي الذي أمامي إذا نحن أردنا أن يكون البرلمان جاهزا يوم الجمعة الثاني من أكتوبر، وقد سبقته جميع العمليات الانتخابية والتقطيع واللوائح وما يساير ذلك، يجب علينا أن ننطلق ابتداء من 4 ماي 1992.

إذن، لم تعد تفصلنا عن هذا التاريخ إلا 13 يوما. فالنصوص التي أمام البرلمان، يجب أن تخرج إلى الوجود، وإذا لم ننطلق على الأقل بنشر النصوص يوم 4 ماي 1992، فلن نستطيع افتتاح البرلمان في الجمعة الثانية من أكتوبر القادم إن شاء الله.

فلهذا، كما تعلمون وترون - شعبي العزيز - ، فإن المدة وجيزة، وفي نفس الوقت مليئة بالعمل. ماهي مصلحتنا أثناء هذا المسار؟ علينا قبل كل شيء أن نحترم حقوق الإنسان، وعلينا أن نحترم فوق حقوق الإنسان، حقوق الجماعات، وعلينا فوق حقوق الجماعات أن نحترم القانون.

وعلينا وأقولها من هنا لجميع الشباب الذين سيخوضون ولأول مرة المعركة الانتخابية، كفى من أن تبقوا بعيدين عن المسرح السياسي أو عن الساحة السياسية. أنا لا أهيب بكم أن تنخرطوا في هذا

الحزب أو ذاك بعينه . لا. إنما ـ شبابي العزيز ـ أريـد أن تتجندوا ، والتجنيد السياسي هنا عندنا ؛ يعني الانخراط في الحزبية ؛ تلك الحزبية التي ينص الدستور على أنها يجب أن تكون متعددة .

فكلما كثرت أفـواج الشباب في الأحزاب السيـاسية وكلما انخرطـوا بإيمان فيها ، إلا وكثـرت فيالق الجيش المدني المغربي لغزو القرن المقبل .

فكما أنه لنـا ـ ولله الحمد ــ قوات مسلحة ملكيـة أبدت وتبدي وسوف تبـدي دائما وتعطي مثال الشجاعة على الساحة العسكرية ، لي اليقين ، أن للمغرب قوة مسلحة مدنية ؛ تلك القوة التي ستشارك في المجالس البلـدية والجهـوية والبرلمان ، وستشـارك في التحليل والتخطيط والبناء والنقـاش . إني أريد وجوهـا جديـدة في البرلمان المقبل . أريدهـا لأنه ليس بيننـا وبين القرن المقبـل إلا ثماني سنوات ، وثماني سنوات ليست كافيـة لكي أتعرف على الجيل المقبل ولكي يتعرف علي الجيل المقبل بعد الله إذا أراد الله لنا البقاء . إني أريـد أن أحاور الذين سيأتوا ليخلفوا أحسن سلف ، لنسير ولو مـدة قصيرة يدا في يد لا يدفعنا إلا أن نبقى بهذا الوطن فوق رأسنا وأعناقنا وفي قلبنا دائما مشرفين مكرمين جديرين بالإسم الذي أراد اللـه أن يطلق علينـا ؛ وهـو المغرب وبـالموقع الاستراتيجـي الجغرافي الـذي أراد اللـه أن يضع فيـه المغرب .

شعبي العزيز؛ سوف أتكلم عن الدستور حينما أقـرر أن أعرضه للاستفتاء ، ولكن ـ بين قوسين ـ أقول إن الأجل المتعلق بالاستفتاء على الـدستور لا يدخل في هذه اليومية العكسيـة . فالانتخابات التي أتحدث عنها تتعلق بالبرلمان والجماعات المحلية فقط .

وسأحاورك في ما بعد ــ شعبي العزيزـ في موضوع الدستور وكيف عدلتـه وعلى أي أسـاس عدلته وما هي الدوافع التي دفعتني لأن أعدله .

ولكن إلى ذلك الحين ، أكرر القـول لكم ؛ إنه إذا أردنا أن يكون البرلمان جـاهزا يوم الجمعة الثـانية من شهر أكتـوبـر المقبل ، يجب أن تنطلق العملية الأولى يـوم 4 مـاي القـادم . وأقول لكم ؛ إن هـذه العمليات خطيرة جدا ، لأني أريـدها عمليات سليمة ونـزيهة . ولا يمكن أن أجد السلامـة والنزاهة في عمليات الانتخابات إلا إذا كانت هناك إرادة جماعية للانصراف للجد والمعقول وللابتعاد عما هو ثانوي وغير معقـول . فالمعـول عليكم أن تكونـوا ــ حضرات السادة ــ رسلي إلى جميع من ترونهم وتخاطبـونهم وتعاشرونهم ، علما مني أن الرسالة مرت مباشرة بيني وبين الشعب المغربي .

فلا نجـاح للامـركـزيـة ، ولا مستقبل للامركـزية ، إذا بقي المغـاربة الكفـاة بعيدين عن السـاحة السياسية . وأؤكد هنا أن الله لم يخلقنـا موظفين فقط ، ننخرط في الإدارة ونأخذ الأجرة ونذهب إلى البيت فننام . وفي هذا قال الشاعر في حق شخص ، ويقال إنه أهجى بيت شعر قالته العرب .

«دع المكارم لا ترحل لبغيتها ◆◆ واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي»

إن المغاربة ليسوا من هذا النوع .

إني أهيب بـالشباب لينخـرط في أي حزب كـان . فيد اللـه مع الجماعة . إني أقـول لكم انخرطـوا وانخرطوا لأجل بلدكم .



وإذا كـان جـدي ﷺ يقـول : «تنـاكحـوا تنـاسلـوا أبـاهي بكم بين الأمم» . فإني أقـول لكم : (انخرطوا . انخرطوا . أباهي بكم وبجيشكم السياسي بين الأمم) .

هذه كلمتي لكـم ـ شعبي العزيـز وللحاضرين ـــ . ومرة أخـرى ، أشكر ضيـوفنا الـذين أثلجوا صـدورنا وأدخلـوا البهجة في نفـوسنـا بحضورهم هنـا . إني أشكـرهم على كلماتهم الطيبة ، وأرجـو لهم النجاح أفرادا وجماعات في تجاربهم الخاصة بهم . وأقول لهم : إلى المناظرة المقبلة إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله .

17شوال 1412هـ موافق 21أبريل 1992م